

مجموعة "أليا" وكوبنهاغن

خلال النشاطات الاحتفالية لمؤتمر القمة السابع لمجموعة "أليا" (البديل البوليفاري لشعوب القارة الأمريكية)، المنعقد في إقليم كوتشابامبا البوليفي التاريخي، أمكن ملاحظة مدى ثراء ثقافة الشعوب الأمريكية اللاتينية ومدى الاهتمام الذي تبعته مظاهرات الغناء والرقص عند الأطفال والشباب والبالغين من كل الأعمار والأزياء والوجوه المعتبرة للبشر من كل الأثنيات والألوان والأعراق: سكان أصليون وزنوج وبيض وخلاصيون. تجلّت في سمات أولئك آلاف السنين من تاريخ البشرية ومن الغنى الثقافي، اللذين يفسّران العزم والقرار اللذين دعا زعماء عدة شعوب كاريبية وأمرיקية أوسطية وجنبية بهما إلى عقد هذه القمة.

يشكل هذا الاجتماع نجاحاً باهراً. كانت بوليفيا مقر انعقاده. وقبل أيام قليلة كتبت عن الآفاق الرائعة لهذا البلد، وريث حضارة الأيمارا كيتشاوا. إنها مجموعة صغيرة من بلدان المنطقة عقدت العزم على الإثبات بأن وجود عالم أفضل هو أمر ممكن. لقد أثبتت مجموعة "أليا" - التي أسستها جمهورية فنزويلا البوليفارية وكوبا كنموذج غير مسبوق للتضامن الثوري، استلهاماً منها بأفكار بوليفار ومارتينيه - مدى ما يمكن فعله خلال خمس سنوات بالكاد من التعاون السلمي. بدأ هذا التعاون بُعيد الانتصار السياسي والديمقراطي لهوغو تشافيز. الإمبريالية استخفت به، وسعت برغبة للاطاحة به وتصفيته. وبما أن فنزويلا كانت خلال روح طويل من القرن العشرين أكبر منتج للنفط في العالم وملكية احتمالية للشركات اليابانية العابرة للحدود، فإن الطريق الذي شقه كان على نحو خاص من العسر والمشقة.

كان هذا الخصم الجبار يتسلّح بالنيليرالية وـ"منطقة التجارة الحرة الخاصة بالأميركيتين"، وهما أداتي سيطرة سحقت عبرهما دائماً كل مقاومة ظهرت في هذا النصف من العالم بعد انتصار الثورة الكوبية.

إنها لمぎطة الطريقة الرعناء والاستخفافية التي فرضت بها حكومة الولايات المتحدة حكومة المليونير بيورو كارمونا وسعت من خلالها إلى تصفية الرئيس المنتخب هوغو تشافيز في لحظة كان الاتحاد السوفياتي قد انذر وكانت جمهورية الصين الشعبية تفصلها سنوات قليلة عن التحول إلى ما هي عليه اليوم من قوة اقتصادية وتجارية عظمى، وذلك بفضل نموّ زادت نسبته عن العشرة بالمائة خلال عقدين من الزمن. على غرار الشعب الكوبي، صدّ الشعب الفنزويلي تلك الهجمة الوحشية. والساندينيون استعادوا قوتهم، واكتسب النضال من أجل السيادة والاستقلال والاشتراكية قوة في كل من بوليفيا والإكوادور. أما هندوراس، التي كانت قد التحقت بمجموعة "أليا"، فقد ذهبت ضحية انقلاب همجي استوحاه السفير الياباني ووجد رعاية من داخل قاعدة الولايات المتحدة العسكرية في بالميرولا.

نحن الآن أكثر من أربعة بلدان أمريكية لاتينية استأصلنا الأمية من أراضينا: كوبا وفنزويلا وبوليفيا ونيكاراغوا. البلد الخامس، وهو الإكوادور، يسير بخطى سريعة نحو تحقيق هذا الهدف. مشاريع الصحة المتكاملة تسير في البلدان الخمسة بوتيرة لم تسجل أبداً من قبل في أي مكان من العالم الثالث. وبرامج التنمية الاقتصادية بعدالة اجتماعية تحولت إلى مشاريع للدول الخمس، والتي أصبحت تحظى بمكانة مشهودة في العالم نتيجة موقفها الشجاع في وجه القوة الاقتصادية والعسكرية والإعلامية للإمبراطورية. وتتضمن إلى مجموعة "أليا" ثلاثة بلدان كاريبية، من أصل زنجي وناطقة بالإنكليزية، تكافح بعزم من أجل تحقيق التنمية.

يمكن لهذا بحد ذاته أن يشكل إنجازاً سياسياً هائلاً، لو كان هذا الواقع في عالم اليوم يشكل المشكلة الكبرى الوحيدة في تاريخ الإنسان.

النظام الاقتصادي السياسي الذي قاد العالم خلال فترة وجيزة من الزمن إلى وجود أكثر من مليار جائع؛ وعدة مئات أخرى من الملايين الآخرين الذين بالكاد تتجاوز أعمارهم نصف المعدل الذي يتمتع به أبناء البلدان المتميزة والغنية، كان حتى هذه اللحظة المشكلة الرئيسية التي تعانيها البشرية.

في إطار قمة مجموعة "أليا" تم وقوفة كبيرة طرح مشكلة جديدة باللغة الخطورة، وهي مشكلة التغير المناخي. لم يسبق لأي لحظة أخرى من تاريخ البشرية أن شهدت خطراً يبلغ كل هذا العظم.

في اللحظة التي كان فيها كل من هوغو تشافيز وإيفو موراليس ودانيل أورتيغا يوّدعون المواطنين في شوارع كوتشابامبا يوم أمس الأحد، كان غوردون براون، وحسبما نقلت هيئة الإذاعة البريطانية، يترأس اجتماعاً في لندن لمنتدى الاقتصاديات الكبرى في العالم، والمكون بأغلبيته من البلدان الرأسمالية الأكثر تطوراً، المسؤولة الرئيسية عن انبعاث ثاني أكسيد الكربون، وهو الغاز الذي يتسبب بالتغير المناخي.

أهمية تصريحات براون تكمن في أنها لم تأت على لسان ممثل لمجموعة "أليا" أو أحد البلدان المائة وخمسين الصاعدة أو النامية على وجه الأرض، وإنما وردت من بريطانيا، حيث بدأ التطور الصناعي وأحد البلدان التي بعثت أكبر كمٍ من ثاني أكسيد الكربون إلى الغلاف الجوي. تبّه رئيس الوزراء البريطاني إلى أنه إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق في قمة الأمم المتحدة في كوبنهاغن، فإن العواقب

ستكون "كارثية".

أما منظمة "الصندوق العالمي من أجل الطبيعة" المكافحة من أجل البيئة، فقد أكدت في تعلق منها على ما ذكره براون بأن الفيضانات والجفاف وارتفاع درجات الحرارة القاتلة هي بعض من هذه العواقب "الكارثية"، وأضافت بأن "التغير المناخي سيخرج عن السيطرة خلال السنوات الخمس أو العشر المقبلة إذا لم يتم الحد بشكل ملموس من انبعاث ثاني أكسيد الكربون. وإذا ما أخفقت قمة كوبنهاغن، فلن يتوفّر هناك خيار بديل".

مجلة "نيوزويك" ذكرت بأنه "يبدو أقل احتمالاً في كل يوم أن تتمكن الدول من التتعهد بشيء في كوبنهاغن".

وبحسبما نقلت هذه الوسيلة الصحفية الأمريكية الهامة، فقد صرّح رئيس الاجتماع، غوردن براون، بأنه "إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق، لا شك بأنه لن يكون بالإمكان إصلاحضرر الناجم عن الانبعاثات الخارج عن السيطرة باتفاق آخر في المستقبل". ثم عدّ مشكلات مثل "الهجرة الخارجية عن السيطرة والألف و800 مليون شخص الذين يعانون شح المياه".

الحقيقة أن الولايات المتحدة، وكما أبلغ الوفد الكوبي في بانكوك، هي على رأس البلدان الصناعية الأشدّ اعتراضًا على التقليل الضوري من الانبعاثات.

خلال اجتماع كوتشاپاما تمت الدعوة لقمة جديدة لمجموعة "أليا". وهكذا فإن الجدول الزمني سيكون على الوجه الآتي: 6 كانون الأول/ديسمبر، انتخابات في بوليفيا؛ 13 كانون الأول/ديسمبر، اجتماع مجموعة "أليا" في هافانا؛ 16 كانون الأول/ديسمبر، مشاركة في قمة الأمم المتحدة في كوبنهاغن. ستتواجد هناك الكتلة الصغيرة التي تتكون منها مجموعة "أليا". لم تعد المسألة مسألة "الوطن أو الموت" وإنما، حقيقةً وبدون مبالغة، إنها مسألة "حياة أو موت" بالنسبة للجنس البشري.

إن النظام الرأسمالي لا يصطهدنا وينهينا فحسب. البلدان الصناعية الأغنى تود أن تفرض على بقية العالم العباء الرئيسي لمكافحة التغير المناخي. من هو الذي تريد خداعه بذلك؟ في كوبنهاغن، ستخوض مجموعة "أليا" بيلدان العالم الثالث معركة من أجل بقاء الجنس البشري.

فيدل كاسترو روز
19 تشرين الأول/أكتوبر 2009
الساعة: 6:05 مساءً

تاريخ:

19/10/2009

<http://www.fidelcastro.cu/ar/articulos/mjmw-lb-wkwnhgn?width=600&height=600> **Source URL:**